تصدير

أمين الريحانى

١٨٧٦ — ١٩٤٠

جرأةٌ نادرة ، وقلم مُرهف ، ولسان حادّ ، وقلب حديدىّ مِقدام ، لا يخشى المهالك ولا يرهب الأخطار ، اتكاله على اللهِ والإيمان به إيمانًا صادقًا قويًّا زيَّنه بالمآثر الحميدة والمزايا الشريفة ، ترفَّع عن المادَّة ولو أرادها لانقادت إليه صاغرة ، ولَجمعَ ثروة طائلة ، ولكنَّه أبى أن يتزلَّف إلى أصحاب الشأن ، بل أراد أن يعيش أبيًّا شريفًا ، يكتفى بما كان يدرُّ عليه قلمه .

أحبَّ الإصلاح ، وأحبَّ العرب حبًّا صحيحًا صادقًا ، نلمسه فى كتابه ملوك العرب وتاريخ نجد الحديث والقوميَّات ، وسنعرض إلى شىء منها فى دراستنا هذه .

لقد حمل على التقاليد والتعصّب الذميم ، وحارب المستبدّ والمستعمر بكلّ ما أعطى من قوَّة ومواهب عقليَّة . كان يكتب ويدبّج المقالات والخطب يدعو فيها إلى المحبَّة والإخلاص ويدعو فيها ملوك العرب وأمراءَهم وشيوخهم إلى توحيد كلمتهم ، والعمل بيد واحدة على إنهاض الشرق من كبوته ولا سيَّما البلاد العربيَّة التى شغف بها وجال فى أنحائها ، ودعا فيها إلى الوئام والألفة بين مطلق أبنائها من الوجيه الكبير إلى الصعلوك الحقير .

ورأى بأمّ عينيه أن البلاد العربية أصبحت لقمة سائغة تتقسَّمها المطامع الاستعماريَّة وقد وجدت فى أرضها البكر منافع لها وموارد اقتصادية ، تستدرّها من منابع الزيت والمناجم التى ستكتشفها ، وتصيب من خيراتها . تلك المناجم الخيِّرة التى تنتظر اليد العربية القويّة والساعد المفتول لتظهرها من جوف الأرضِ منفعةً للناسِ ومشرعًا سائغًا للعيش .

ونحن بدراستنا هذه لا نريد إلاّ أن نعلن صفحةً مجيدة بيضاء عن إنسان عاش بيننا نحو ستين عامًا ، كان نصفها درسًا واختباراً ، والنصف الآخر تعليمًا وجهاداً وحبًّا وإخلاصًا لأرض العرب وأمّتها . وسنرى فيما نحن مقبلون عليه من آثار قلمه ما يستفزّ النفوس ويبعث فيها حميّة ونشاطًا وعزّة وحريّة وإليك ما قال بعنوان : الثورة « ويومها القطوب العصيب ، وليلها المنير العجيب ، ونجمها الآفل تحدج بعينه الرقيب ، وصوت فوضاها الرهيب ، من هتاف ولجب ونحيب وزئير وعندلة ونعيب ، وطغاة الزمان يسامون ناراً ، وأخياره يحملون الصليب .

ويل يومئذ للمستكبرين الظالمين .

هو يوم من السنين بل ساعة من يوم الدين .

ويلٌ يومئذ للظالمين » .

وهي قصيدة نثرية تعجُّ بالنار والحديد نكتفي بسرد مقطع آخر منها : « هي الثورة وأبناؤها الحفاة . وصبيانها المسترجلون العتاة . ورجالها الأشدّاء الأباة . ونساؤها المتنمرات . وخطباؤها وخطيباتها الفصيحات . وزعماؤها وزعيماتها المتمرّدات .

ويل يومئذ للظالمين » .

وفيها يذكّر بالرومان واستبدادهم وفرنسا ودكّ « البستيل » وقطع رأس لويس السادس عشر . ونبأ الإنكليز يوم بايع القوم بيّاع الجعة كرمويل زعيم الثورة الإنكليزية التي انتهت بمقتل شارل الأوّل ، والثورة الأميركيّة[1] .

فأمام هذه الكلمات الناريّة ، يجدر بنا أن ننظر في آثار الرجل ونتبين ما كان يجول في خلده ، وينبض به قلبه من حبّ أكيد وإخلاص شديد لأمته العربيّة وللإنسانيّة المتألمة من جور المستبد الظالم .

ومن أقواله : « لا المجد ولا الشهرة أمنيتي القصوى ، لا السيادة ولا العظمة ، لا المال ولا الثروة . وإنما أمنيتي الجوهريّة هي أن أكون بسيطًا في أعمالي ،

---

(١) « هتاف الأودية » بيروت ص ١٨ .

صادقاً فى أقوالى ، مستقيماً فى مبادئى وآرائى ، طبيعياً فى تصرّفى وسلوكى . حرًّا فى ما أحبّ وما أكره. أودّ أن أكون دائماً نظيف الجسم نزيه العقل والقلب بعيداً عن التصلّف والزخرف والمصانعة . بعيداً عن الجبن والخوف والتذبذب ، بعيداً عن الخجل الذى يذلّ النفس ويميت الحقيقة ، بعيداً عن الكذب والشعوذة والمداهنة والرياء»[1] . تلك هى مبادئ الأمين وتلك هى أخلاقه ، وعلى ضوء أقواله سنمضى بدراستنا هذه نقدّمها للأمّة التى أحبّها وأحببناها وهى منّا وإلينا . أمة العرب أخذ الله بعدها إلى ما فيه الخير والفلاح .

---

(١) « الريحانيات » الجزء الأول ص ٧ .

obeikandl.com